د.فوزية العشماوي
Dr. Fawzia AL ASHMAWI
European Forum For Muslim Women
e mail : Ashmawi7@yahoo.com

تفعيل دور المرأة المسلمة
في الحوار مع الآخر

الدكتورة فوزية العشماوي أستاذة الدراسات العربية والاسلامية
كلية الاداب ــ جامعة جنيف ــ سويسرا

مقدمة

كثر الجدال حول ضرورة احياء مبادرات الحوار مع الآخر خاصة في الظروف الصعبة الحالية التي يمر بها العالم العربي والاسلامي حيث يتعرض الاسلام والمسلمون لكثير من المضايقات والانتقادات بل والتجريح بما في ذلك الجرح المادي والمعنوي مثلما حدث في الدانمارك بعد نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وما تبع ذلك من انتقادات جارحة للمسلمين من كثير من الدوائر الاعلامية في معظم الدول الاوروبية بحجة التضافر مع الصحيفة الدانماركية ومع الصحف الأوروبية الاخرى التي أعادت نشر تلك الرسوم البذيئة بحجة الدفاع عن حرية التعبير وحرية الرأي وحرية الصحافة ، ضاربة بعرض الحائط مشاعر وحقوق المسلمين حول العالم في احترام دينهم وعقائدهم الدينية . فهل نستمر في الحوار مع الآخر رغم تكرار الأذى والاساءة أم نجمد الحوار مع الآخر حتى يكف آذاه عنا ؟

أولا : ما جدوى الحوار مع الآخر

لقد ارتفعت أصوات في العالم العربي والاسلامي تتساءل عن جدوى الحوار مع الآخر بل تطالب بتجميد الحوار مع الآخر طالما الآخر الغربي

600/001
28/04 2006 14:17 FAX 001/009

مستمر في الأذى سواء الأذي الجسدي بالقتل والتدمير والتفجير في المسلمين في فلسطين وافغانستان والعراق وسواء الأذى المعنوي عبر الأزمات المستمرة في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية الناتجة عن اساءات وانتقادات عبر وسائل النشر والاعلام ضد الاسلام والمسلمين ، مثل الأزمة التي نتجت عن نشر كتاب "**آيات شيطانية** " ، للكاتب الهندي الانجليزي المرتد سلمان رشدي والذي أثار أزمة شديدة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين بسبب الفتوى التي أصدرها الامام الخميني باباحة قتله لأنه أساء لأهل بيت الرسول الكريم (صلعم) في كتابه الردئ ، ومثل أزمة كتاب " **العار**" للكاتبة البنغلادشية المرتدة تسليمة نسرين التي طالبت فيه بالغاء وتعديل بعض أيات القرآن الكريم (والعياذ بالله) الخاصة بالنساء والتي تحط من قدر المرأة المسلمة في نظرها ، ومثل أزمة الرسوم المسيئة للرسول الكريم(صلعم) في الدانمارك ومثل الأزمة التي فجرها المسلسل التليفزيوني الأمريكي الذي يعرض أيضا في بعض الدول الاسلامية والذي يتعرض لحياة أسرة أمريكية لديها كلب مشاكس ينادونه باسم أكرم الخلق محمد (صلعم) .

ان كل هذه الأزمات المفتعلة انما الهدف من ورائها هو الاساءة للاسلام والمسلمين واستفزازهم واثارة غضبهم حتى يخرجوا عن طورهم فيثوروا ويعربوا عن ثورتهم وغضبهم باعمال العنف فيتهمهم الغرب بالعنف والارهاب وبأنهم ينادون بالجهاد أي " بالحرب الدينية المقدسة لنشر الاسلام بالقوة والعنف " حسب التفسير الغربي لمفهوم الجهاد. وهكذا ينقاد المسلمون للمخطط الغربي الذي يهدف الى اثبات أن الاسلام دين يدعو للعنف والارهاب وقتل الأبرياء من المدنيين حتى يثنوا كل من يريد أن يدخل في الاسلام عن عزمه ، بالرغم من أن كثير من المواطنين في الدول الأوروبية والامريكية يعتنقون الاسلام يوميا .

فهل نحقق لهم مأربهم ونعطيهم الفرصة ليثبتوا مقولاتهم المغرضة عن الاسلام والمسلمين ونؤيد مقولة أمثال صمويل هنتنجتون المغرضة عن " صدام الحضارات " ؟ ونحن نعلم أن المقصود من وراء هذه المقولة هو الصدام بين الحضارة الاسلامية و الحضارة الغربية ؟ وهل نتوقف عن الحوار مع الأخر ونفسح المجال للصدام مع الأخر ؟ وهل نصدق المقولة التي تؤكد أن الرئيس

002/009 28/04 2008 14:17 FAX

الأمريكي الحالي جورج بوش الابن كان واعيا تماما لما يقول ، حين أعلن في أول خطاب له بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 المريرة ، حين صرح بانه سيبدأ " حربا صليبية جديدة ضد المسلمين " ؟ بالرغم من أن المحيطين بـه مـن دواهي السياسة الأمريكية أسرعوا بتصحيح مقولته وأعتذروا بأنها كانت " زلة لسان" ، وانه لم يقصد ما قاله وان الولايات المتحدة الأمريكية تحترم الاسـلام والمسلمين وتدرك أن جميع المسلمين ليسوا أرهابيين مثل الذين قاموا بعمليات 11 سبتمبر 2001." فهل نصدقهم ؟ هل كان الرئيس جورج دبليو بوش يقصد ماقاله حقا وان الحرب على الارهاب التي أعلنها ونفذها في افغانستان ثم فـي العراق ما هي الا حرب على الاسلام ؟ واذا صدقنا هذه المقولات المغرضـة وأوقفنا او جمدنا مبادرات السلام ومبادرات الحوار مـع الأخـر ومـؤتمرات وندوات الحوار مع الآخر ماذا سنستفيد ؟ وهل سنصل الى نتيجة أفـضل مـع الغرب او هل سنحقق انتصارا على الغرب ونجعله يحترمنـا أكثـر ويحتـرم مقدساتنا ويجل انبياءنا ويجلو عن أراضينا وبلادنا التي يحتلها ؟

الاجابة على هذه التساؤلات ليست سهلة ، فنحن لا نستطيع أن نفـرض قيمنا ومبادءنا وأفكارنا على الغرب وحتى وان نجحنا في أن نجعل الحكومـات ورؤساء الدول يتفهمون مشاعرنا الدينية ويحترمون مقدساتنا ، ويقـدمون لنـا اعتذارات ودية مثلما فعل بعض رؤساء الدول الأوروبية والامريكية على اثـر أزمة الرسوم المسيئة في الدانمارك مثل الرئيس الفرنسي جاك شيراك ووزيرة الخارجية السويسرية ميشلين كالمي ريه وغيرهم ، الا أننا لـن نـستطيع أن نفرض ذلك على الشعوب الأوروبية والأمريكية ولا على وسائل الاعلام لديهم لأنهم يقدسون ما يطلقون عليه حرية التعبير.

لن نستطيع نحن المسلمون ولا الحكومات الغربية تستطيع أن تفرض بقوة القانون آراء او معتقدات على شعوبها ووسائل الاعلام فيها . فهذه الشعوب الغربية لديها موروث ثقافي قديم وراسخ في أذهانها منـذ القـرون الوسـطى وسيطرة الكنيسة ورجالها من الاساقفة والبابوات القدامى وما كانوا ينشرونه من أكاذيب وأباطيل عن الاسلام وعن الرسول الكريم محمد (صـلعم) ، فثبتـوا الخوف من الاسلام والمسلمين والجهل بالدين الاسلامي وبقيمه وبرسوله الكريم

28/04 2008 14:18 FAX 003/009
003/009

(صلعم) وبسماحته وخلقه العظيم ، في قلوب الغربيين فأصبح من الصعب جدا نزع هذا الخوف وهذا الجهل بالاسلام من نفوسهم ، فنحن نعلم " أن العلم في الصغر كالنقش على الحجر" و ما تعلموه في كتبهم وفي مناهجهم الدراسية من مفاهيم مغلوطة ومن قوالب نمطية مشوهة عن الاسلام والمسلمين وما تبثه وسائل الاعلام المقروئة والمرئية من أعمال العنف ومن التفجيرات والفظائع التي ترتكبها شرذمة من المجرمين والمنشقين عن الاسلام ضد المدنيين في كثير من البلاد والتي تنسب خطئا للاسلام والمسلمين عامة ، كل ذلك جعل الاسلاموفوبيا Islamophobie او الخوف من الاسلام والمسلمين يتزايد لدى الغربيين . لذا علينا ان نزيل آثار وتداعيات هذا الموروث الثقافي البغيض من نفوسهم وأن نفعل ذلك بالتدريج وبالصبر والمثابرة لخلق مناخ أفضل لتفعيل الحوار مع الآخر.

ليكن الحوار مع الآخر مبنيا على زرع الثقة في نفوس الغربيين قبل الخوض في المفاهيم الدينية والعقائدية معهم . وهذا من نفعله ، نحن المسلمون الأوروبيون ، منذ أواخر السبيعينيات في معظم الدول الأوروبية من خلال عدة مبادرات للحوار مع الأخر أي مع اليهود والمسيحيين والبوذيين وحتى البهائيين وغيرهم من مختلف الملل الأخرى المنتشرة في أوروبا. وهذه المبادرات نطلق عليها "موائد مستديرة للحوار فيما بين الاديان" . وقد أسفرت تلك اللقاءات والمبادرات عن تكوين ما نطلق عليه " منظمات غير حكومية " او منظمات مدنية NGO's تتكون من شخصيات ومفكرين وعلماء دين وأساتذه جامعات ينتمون الى مختلف الاديان ويلتقون في ندوات ومؤتمرات دورية لمناقشة القضايا الساخنة التي نعيشها في تلك المجتمعات الغربية وكل منا يدلي بدلوه في المناقشات ونتواصل عبر الحوار الجاد البناء لايجاد ما نطلق عليه " أرضية للتفاهم " terrain d'entente فنتعرض للمفاهيم الموحدة في كل من الاديان او الثقافات ونستخرج من نقاشاتنا ما يوحدنا وندع جانبا كل ما يفرقنا ، أي نركز على ما تتفق عليه كل الاديان من تكريم الانسان واقرار الحق والعدل والمساواة بين الناس واحترام الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما نطلق عليه القاسم المشترك dénominateur commun ونترك جانبا

28/04 2008 14:18 FAX 004/008

القضايا اللاهوتية الشائكة التي تخص كل دين والتي لا يمكن تغييرها او حذفها او التوصل الى اتفاق بشأنها والا لما كان هناك اختلاف في الاديان ولـصارت الأديان كلها دين واحد ، وهذا ما أكده العلي القدير في الآية الكريمة "*ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين*" (سورة هود ، الآية 118) .

ثانيا : دور المرأة المسلمة الأوروبية

ومن بين هذه المنظمات المدنية الأوروبية العاملة في مجال الحوار مع الآخر "**المؤتمر الاسلامي الاوروبي** " ومقره في باريس والمنبثق منه " **المنتدى الأوروبي للمرأة المسلمة** " ومقره جنيف، حيث نعمل من خلالهما على الدخول مع الاوروبيين في حوار مثمر للتعريف بالمفاهيم الاسلامية وبحقيقة الدين الاسلامي ارتكازا على الأسس الثابتة لديننا الحنيف وعلى احترام معتقدات الآخر وعلى حماية الخصوصيات الثقافية لكل منا .

وحيث أن " **المنتدى الأوروبي للمرأة المسلمة** " يختص أساسا بتعريف الأوروبيين بحقيقة مكانة المرأة في الاسلام وبأهم القضايا التي تتعلق بالحياة اليومية المعاشة للمرأة المسلمة في الدول الأوروبية وما تتعرض له المرأة المسلمة الأوروبية من مشاكل وافتراءات بسبب انتمائها للدين الاسلامي فاننا نعرض وجهات نظرنا من خلال ندوات ولقاءات متعددة . ومن أهم الندوات التي عقدناها ندوة بعنوان" **حقوق الانسان وحقوق المرأة المسلمة الأوروبية**"، والتي عقدت في المقر الأوروبي للامم المتحدة في جنيف أثناء انعقاد الدورة الـ 60 للجنة الدولية لحقوق الانسان في 2 ابريل 2004 بمشاركة نخبة من المتخصصين في القانون الدولي وفي الفقه الاسلامي وحضرها جمهور متخصص من الحقوقيين ومن وفود المنظمات الدولية والعاملين في مجال حقوق الانسان .

وقد عرضنا خلال هذه الندوة أهم القضايا والمشاكل التي تواجه المرأة المسلمة الأوروبية وخاصة قضية منع التلميذات المسلمات من ارتداء الحجاب في المدارس الحكومية الأوروبية ، وقضية منع المرأة المسلمة المحجبة من

28/04 2006 14:19 FAX 005/009

الالتحاق بالعمل الحكومي او بالعمل السياسي في كثير من الدول الأوروبية ، وقضايا تعليم الأولاد اللهجات العربية الاقليمية (العامية) ، كما هو منتشر الآن في الدول الأوروبية حيث يتم تدريس العامية المغربية للاطفال المغاربة في المدارس الحكومية ، واللهجة العامية المصرية للمصريين ، واللهجة البوسنية للبوسنيين وهكذا دون تدريس اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم وحجر الاساس في تعلم أصول الدين الاسلامي ، وكذلك ومواجهة ظاهرة زواج الفتيات المسلمات الأوروبيات من غير المسلمين وغيرها من القضايا التي تعيشها المرأة المسلمة في الدول االأوروبية . وقد اهتمت وسائل الاعلام في الامم المتحدة وفي سويسرا بهذه الندوة وخصتها بالاهتمام بنشر كثير من المقالات عنها وكذلك فقرات في البرامج التليفزيونية الثقافية .

ولعل أهم القضايا التي نركز عليها حين نعرض قضاي المرأة المسلمة الأوروبية هي مكانة المرأة المسلمة في الاسلام والحقوق التي منحها الاسلام للمرأة المسلمة مقارنة بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ، الذي يعتبرونه في الدول الأوروبية الميثاق الحقوقي الأول ويقيسون عليه مدى مدنية و تطور الشعوب والامم . ونحن حين نعرض مكانة المرأة في الاسلام نبدأ بعرض القيم والمبادئ التي أرساها الدين الاسلامي وأعلنها الرسول محمد (صلعم) منذ 14 قرنا من الزمان ونؤكد على أنها نفس المبادئ والمعايير التي أقرها الميثاق العالمي لحقوق الانسان منذ 50 عاما فقط. لقد أكد الاسلام على كل هذه المبادئ كمعايير أساسية للحياة في مجتمع يسود فيه الامن والسلام وهو ما تنادي به الامم المتحدة منذ انشائها.

ونعرض أول ما نعرض مفهوم السلام في الاسلام و ان الاسلام بعيد كل البعد عن الارهاب ونؤكد أن الاسلام دين سلام وأن السلام والسلم ومشتقاتهما من أكثر المصطلحات القرآنية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

28/04 2008 14:19 FAX 008/009

ثالثا : تفعيل دور المرأة في الحوار مع الآخر

مما لاشك فيه أن للمرأة المسلمة دور في الحوار مع الأخر سواء في المجتمعات العربية والاسلامية او في المجتمعات الغربية حيث لا يعتبر الاسلام دين الأغلبية من السكان . فالمرأة في كل مجتمع من المجتمعات هي ناقلة التراث عبر الاجيال . المرأة الأم هي التي تنقل اللغة الى رضيعها مع اللبن الذي ترضعه اياه وهي تهدهده وتغني له أول كلمات الحب والحنان بلغتها ، فاذا كانت لغتها هي العربية ضمنا للطفل المسلم أول مقومات الثقافة العربية والاسلامية وهي اللغة العربية ، لغة القرآن ، ولغة الصلاة ولغة الدعاء والابتهال الى العلي القدير . والمرأة الأم هي أول من تجعل الصغير ينطق باسم الجلالة "الله " ، ثم ينطق بالشهادة وتحفظه الفاتحة وقصار السور. كل منا بدأ التعرف على أول مبادئ الدين الاسلامي الحنيف من خلال أمه المسلمة ، من هنا ضرورة حسن اختيار الزوجة المسلمة التي ستنقل التراث العربي الاسلامي الى أولادها خاصة في المجتمعات غير الاسلامية.

فالأم المسلمة هي التي تحمي أولادها من الذوبان في المجتمع الغربي الذي يعيشون فيه فاذا حدثتهم وعلمتهم العربية ساعدتهم على الاحتفاظ بصلة الرحم مع الأهل في البلد الأصلي الذي ينتمون اليه ، واذا علمتهم الصلاة والصيام ساعدتهم على الانتماء الى الامة الاسلامية " ***خير أمة أخرجت للناس***" واذا شجعتهم على الزواج من مسلمين ملتزمين مثلهم ومعتزين بعقيدتهم الاسلامية ، تكون قد نجحت في الاضطلاع بدورها وفي أداء رسالتها الاولى في الحياة على أكمل وجه ، وهي تربية الأولاد وحسن تنشئتهم التنشئة العربية الاسلامية الحقة .

أما الدور الثاني للمرأة المسلمة فهو الدور الاجتماعي كما أوصاها الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة :" **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** ."(سورة التوبة ، الأية 70) . فالمرأة المسلمة مثلها مثل الرجل لها دور اجتماعي يجب أن تضطلع به داخل المجتمع الذي تعيش فيه ، سواء أكان هذا المجتمع مجتمعا

28/04 2008 14:20 FAX 007/009

اسلاميا او غير اسلامي ، فيجب عليها أن تأمر فيه الناس بالمعروف وتنهاهم عن كل ما يدخل في نطاق المنكر من فواحش وموبقات وممنوعات ، فليس من خلق الاسلام أن ترى الغلط والخطأ ونسكت عليه ولا نبالي ونقول:" وأنا مالي" ، لا والف لا ، يجب أن تقولها المرأة المسلمة لأولادها أولا ولأصدقائها ومعارفها، تقولها عالية في كل مجتمع تعيش فيه أمام الظواهر الخبيثة والتقليعات السخيفة والموضات الفاضحة المنتشرة حاليا وسط الشباب .

كذلك يجب على المرأة المسلمة أن تكون قدوة لأولادها وخاصة لبناتها لأن البنت أكثر اقترابا من أمها ولأن البنات يقضين مع أمهاتهن وقتا أطول مما يقضية الصبيان مع أمهاتهم فلو أن البنت رأت أمها ملتزمة بالحشمة والوقار في زيها ، وتواظب على الصلاة وتلاوة القرآن الكريم والالتزام بالصوم وبالفرائض والخلق الاسلامي الحميد في كل معاملاتها ، خاصة مع زوجها وتحترمه وتعامله معاملة طيبة أمام الأولاد ، وكذلك في التعامل مع جيرانها ومعارفها ، فبدون أدنى شك سيكون لذلك تأثير شديد على البنت خاصة وعلى الأولاد عامة وعلى المجتمع الذي تعيش فيه .

كذلك يجب أن تشارك المرأة المسلمة في الندوات والمؤتمرات والملتقيات التي تناقش القضايا الهامة التي تخص المسلمين في جميع بقاع العالم وان يكون لديها ما تقوله خلال تلك الملتقيات وذلك من خلال قراءاتها واطلاعها لتكون مشاركتها فعلية وفعالة وتساهم في اتخاذ القرار مثلها مثل الرجل حتى يكف الغرب عن اتهام المسلمين بأنهم يحجبون المرأة المسلمة عن المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية وان المجتمعات الاسلامية مجتمعات ذكورية لا تظهر فيها المرأة المسلمة حيث لا رأي ولا دور لها في المجتمع الاسلامي .

الخلاصة:

علينا أن نؤيد مبادرات الحوار الهادف مع الآخر ، فهو الخيار السلمي الوحيد أمامنا للتواصل مع الآخر وللتعايش السلمي معه ، طالما أنه لم يعلن الحرب علينا ولم يعتدي علينا ولم يخرجنا من ديارنا ، تطبيقا للآية الكريمة :

28/04 2006 14:20 FAX 008/008

" *لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين* "(سورة الممتحنة ، الآية 8) . ولكن يجب أن يخضع الحوار مع الآخر لثوابت وأصول حددها لنا القرآن الكريم في بعض الايات الكريمات مثل " **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن** ... " (سورة العنكبوت ، الآية 46). وعلينا أن نتمسك بالخصوصية الاسلامية المرتكزة على مفهوم أن الاسلام دين عالمي يصلح لكل مكان ولكل زمان. وأن المسلمين ليس لهم وطن محدد او منطقة معينة يجب أن يعيشوا فيها فالاسلام لا يعرف الحدود التي فرضها الأوروبيون على العرب والمسلمين ليفرقوا بينهم ويفتتون الامة الاسلامية ، لقد أقر الاسلام للمسلمين التنقل في جميع بقاع الأرض وشجع على الهجرة في أرض الله الواسعة كما جاء في الآية الكريمة :" **قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها** " (سورة النساء ، الآية97) .

فعلينا أن نواصل الهجرة الى جميع دول العالم ونرسي الحوار مع جميع شعوب العالم حتى نطبق الآية الكريمة " **يا أيها الناس انا خلقناك من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ان الله عليم خبير " (سورة الحجرات ، الآية 13) ، فلنتفاعل اذن مع الآخر من جميع الثقافات والأديان والحضارات في اطار حوار هادف ومستمر ومتميز على أن تشارك فيه المرأة المسلمة مشاركة فعالة وفعليه ويكون لها مساهمة ايجابية في تفعيل الحوار مع الآخر.

والله الموفق ،

د. فوزية العشماوي
أستاذة الحضارة الاسلامية
جامعة جنيف سويسرا

28/04 2008 14:20 FAX
800/800 008/008